العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية

إذاعة الكفيل

سلسلة من حلقات برامج إذاعة الكفيل

صوت المرأة المسلمة

أشرعة النجاة

إعداد

نوارس فائق

كربلاء المقدسة
FM-95.3MHZ
النجف الأشرف
FM-103.9MHZ
ذي قار
FM-95.3MHZ
ميسان
FM-98.3MHZ
radio@alkafeel.net

الكتاب: أشرعة النجاة.
الإعداد: نوارس فائق.
المونتاج الإذاعي: نبأ شاكر.
الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة/ شعبة إذاعة الكفيل.
التصميم: علاء سعيد الأسدي.
الإخراج الطباعي: أمل نصير السعداوي.
التدقيق اللغوي: موفق هاشم الرحال.
المطبعة: مطبعة دار الكفيل.
الطبعة: الأولى.
عدد النسخ: ٢٠٠٠.
ربيع الثاني ١٤٣٧هـ - كانون الثاني ٢٠١٦م.

مُقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمدٍ وآله الطاهرين وسلامٌ على أصحابه البررة المنتجبين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

أما بعد:

لا يخفى أنَّنا لازلنا بحاجة إلى تكريس الجهود ومضاعفتها نحو نشر المفاهيم الأخلاقية والتربوية، وترسيخ المفاهيم الإيمانية التي تضمنتها رسالة الإسلام لبناء الفرد بناءاً فعلياً حقيقياً؛ ليكون انطلاقة سليمة لبناء ذلك الكيان الإنساني الشامخ الذي ماهو إلا اللبنة الأولى لبناء مجتمع إسلامي راسخ البنيان، عتيد المراسي، لذا ومساهمةً في ذلك جاءت برامج إذاعة الكفيل صوت المرأة المسلمة كسبيل للوصول إلى ذلك، وقد أخذت هذه البرامج طريقها إلى أسماع الكثيرين عبر أثيرها وعبر شبكة الإنترنت العالمية صوتاً، ولأجل تعميم الفائدة إرتأت الإذاعة إيصال برامجها كتابياً إلى أيدي الذين لم يسعفهم الوقت لسماعها وذلك بطباعة بعض من برامجها وإصدارها كراريساً.

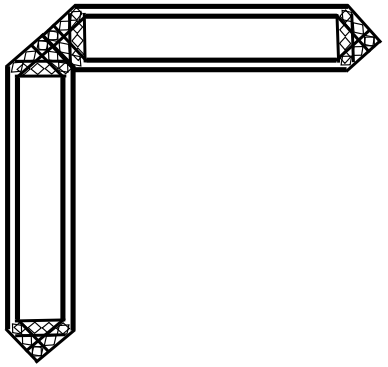

الحلقة الأولى

التقوى

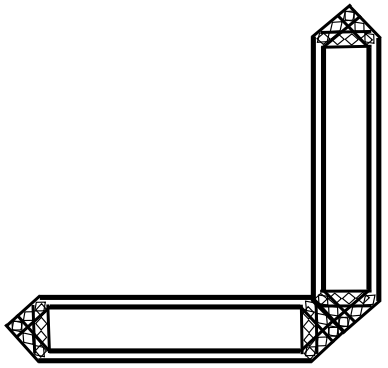

مفهوم التقوى

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد وآله الطاهرين عليهم الصلاة والسلام أجمعين، أهلاً بكم في أولى حلقاتنا من كرّاسنا لبرنامج «أشرعة النجاة» والذي يسلط الضوء على أهمية غرس مفهوم التقوى في حياة الإنسان وسلوكياته؛ لما فيها من عوامل الصلاح والرضا من الله تعالى، والتي توصلنا إلى سُبل السلام والصراط القويم في الدنيا والآخرة.

ويبحث هذا الكراس في موضوعة التقوى بوصفها شراع تنجي العبد من الإنزلاق وتودي به إلى سبل السلام، فمن جعل التقوى رداءه يرزقه الله تعالى ويغنيه من حيث لا يحتسب.

التقوى هي من الوقاية، وهي صيانة النفس عمّا يضرّها في الآخرة، وقصرها على ما ينفعها فيها.

إن التقوى أيتها الأخوات تصون الإنسان وتحفظه من الإنزلاق في متاهات الشهوة والغريزة، وعلى الإنسان أن يسعى جاهداً للحفاظ عليها من الضعف والتلاشي، ولابدّ من التعرف على آثار التقوى، فإنّ لها آثاراً دنيويّة، فضلاً عن آثارها الأخرويّة المتمثِّلة في أنّها الطريق

الوحيد للنجاة من الشقاء الأبديّ في الآخرة.

آثار التقوى الدنيويّة؟

يقول أمير المؤمنين عليعليه السلام وهو الذي تحدّث عن التقوى، ورغّب فيها كما لم يفعل أحد غيره ذاكراً آثار التقوى ومبيّناً فوائدها: ((**فإن تقوى الله مفتاح سداد وذخيرة معاد، وعتق من كل ملكة، ونجاة من كل هلكة، بها ينجح الطالب، وينجوا الهارب وتنال الرغائب**))، فكل آلام البشر وابتلاءاتهم بنظر الإمام عليعليه السلام يمكن أن تجد لها حلّاً من خلال التقوى، فالتقوى واحدة من أركان حياة الإنسان -فرداً كان أم في المجتمع- ولولاها لتزلزلت أركان الحياة.

فما من شيء يقوم مقام التقوى في ضبط حركة الفرد الشخصيّة والإجتماعية، فكم وضعوا من القوانين والقرارات، وكم بدّلوها وغيّروها؛ لتتناسب مع التطوّر والتقدّم الحاصلين في المجتمعات البشريّة؟! ولكنّ ذلك كلّه لم يؤتِ الثمار المرجوّة منه، وذلك لأنّ مجرّد وضع قانون ما أمر غير مثمر، فإنّ من وظيفة القانون أن يضع الحدود، ولكنّ ثمرة وضع تلك الحدود لا تظهر إلّا حينما يملك الناس الإرادة والقدرة على احترام تلك الحدود، وتلك هي التقوى.

ولا احترام للقانون ما لم تُحترم مبادئ التقوى، فالكثير من المشاكل الموجودة اليوم في المجتمع سببها الأوّل والأخير إنعدام التقوى، أو ضعفها في نفوس الناس أثناء تعاطيهم للأمور الحياتيّة والإجتماعيّة.

والمؤسف أنّ بعض الباحثين في الشؤون الإجتماعيّة يردّون هذه المشاكل إلى أسباب وعوامل مختلفة لا علاقة لها بالأسباب الحقيقيّة لهذه المشاكل، ألا وهي إنعدام التقوى بكافّة أنواعها أو ضعفها في نفوس الناس.

ولعلّ بعضاً يسأل -أختي القارئة- كيف يقول أمير المؤمنينعليه السلام عن التقوى بأنّها: ((**شِفَاءُ مَرَض أَجْسَادِكُمْ**))؟ وما الرابط بين التقوى وسلامة الجسم؟

والجواب: إنّ افتقاد التقوى يعني افتقاد المستشفى الجيّد والطبيب الجيّد والدواء الجيّد، كما أنّ من يعيش روحيّة التقوى لا تشغله الأطماع، ولا يندفع وراء الملذّات ولو كانت مضرّة بسلامته وصحّته، وهذا ما يعني أنّ التقيّ سيحيا صحيح الجسم، سليم الروح، وفي سلامة إجتماعيّة مع نظرائه وأقرانه.

كذلك يبقى للتقوى أثران مهمّان، وهما:

تنوير القلب والبصيرة، ولا نغفل أيضاً أثر التقوى في تنوير العقل

والبصيرة.هذا الأثر للتقوى من المسلَّمات الإسلاميّة، فقد دلّت عليه، بالإضافة إلى الآيات القرآنيّة، وجملة من الأخبار الواردة عن النبيﷺ والأئمّة الأطهارعليهم السلام.

فمن الآيات القرآنيّة قوله عزّ وجلّ: ﴿**إِن تَتَّقُواْ اللهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً**﴾[1]، ومن الأخبار الـواردة عن النبيّ والأئمّة، ما جاء عن النبيّﷺ: ((**اهدوا أنفسكم على أهوائكم تحلّ قلوبَكم الحكمةُ**)). وهذه الأخبار تشير بصراحة إلى أنّ التقوى والتطهّر من الآثام سبب رئيسي من أسباب التبصّر.

وهناك بعض الأحاديث تشير إلى ذلك تلميحاً، إذ تشير إلى تأثير إتّباع الهوى والإبتعاد عن التقوى في إظلام الروح واسـوداد القلب وانطفاء نور العقل، ومن هذه الأحاديث قول أمير المؤمنينعليه السلام: ((**مَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَى بَصَرَهُ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ**)).

وخلاصة القول: إنّ للتقوى والطهارة وترويض النفس الأمّارة أثراً في البصيرة ومساعدة العقل، ولكنّ ذلك في العقل العمليّ دون النظريّ، وليس بمعنى أنّ العقل هو المصباح وأنّ التقوى هي زينة، أو أنّ جهاز العقل يكون أشبه بمولّد كهربائي ذي طاقة معيّنة وتأتي

(١) الأنفال ٢٩.

التقوى لتزيد تلك الطاقة من حيث كميّتها.

ولابدّ من الإشارة كذلك إلى أنّ للتقوى وطهارة النفس تأثيراً في مجالات أخرى، منها العواطف والأحاسيس، إذ التقوى تزيد من رقّتها ولطافتها، فإنّ عواطف امرئ تقيّ قد أزال عن نفسه كلّ شرّ وابتعد عن كلّ عمل قبيح لا يمكن أن تتشابه مع عواطف شخص غارق في الفواحش والمنكرات، ولا ريب أنّ مشاعر التقيّ أرقّ وألطف، وتأثّره بالجمال المعنويّ أشدّ وأقوى.

وللتقوى أيضاً أثر في إزالة الشدائد يقول الله سبحانه: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا**﴾[1]، وهنا أيضاً يرد إلى الذهن السؤال التالي: ما هو الرابط بين التقوى -وهي خصيصة روحيّة أخلاقيّة- وبين قهر المشاكل والشدائد الفعليّة؟

وللجواب عن هذا التساؤل لابدّ من بيان أنّ الشدائد والصعاب في هذه الحياة على نوعين:

الأوّل: هو ما لا دخل لإرادة الإنسان في حدوثه، كالزلازل والبراكين وما شابه ذلك.

والثاني: هو الذي تتدخّل فيه إرادة الإنسان، وأمثلته كثيرة، وهي

(١) الطلاق ٢.

المشاكل الأخلاقيّة والإجتماعيّة التي يواجهها الإنسان في حياته.

وهنا نقول: إنّه ليس ما يمنع من وجود قانون طبيعيّ يكون ضماناً إلهيّاً للخلاص من المشاكل من النوع الأوّل، كاستجابة الدعاء مثلاً. ولكن لا ندري هل أنّ بيان القرآن يشمل النجاة من هذه الشدائد أو لا يشملها؟ وعلى كلّ حال فإنّ مثل هذه الشدائد نادر الحدوث في حياة الإنسان.

وأمّا النوع الثاني من المشاكل فهو المقصود في القرآن ونهج البلاغة، أي أنّ للتقوى أثر كبير في تخليص الإنسان من المشاكل الإجتماعيّة والأخلاقيّة التي هي من صنعه وخاضعة لإرادته.

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى ذلك بقوله: ((**وَاعْلَمُوا أَنَّهُ من يتّق الله يجعل له مخرجاً مِنَ الْفِتَنِ، وَنُوراً مِنَ الظُّلَمِ**)).

فالتقوى إذن تقف حائلاً بين الإنسان والإنحراف عن الخطّ الذي رسمه الله عزَّ وجل له، ليحقّق من خلاله السعادة والهناء في هذه الحياة الدنيا، وبهذا يتخلّص الإنسان التقيّ من خطر الوقوع في المشاكل والشدائد الناشئة على نحو الدوام من الإبتعاد عن النهج الذي وضعه الله؛ ليسير عليه الناس في حياتهم. ولو سقط التقيّ في مشكلة ما نتيجة الغفلة عن أوامر الله ونواهيه التي قد تصيبه في أيّ وقت، فإنّه يستطيع

الرجوع من خلال التقوى إلى الصراط المستقيم فيتخلّص من مشكلته، وإلى هذا المعنى تشير الآية الكريمة: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**﴾[١]، وبهذا يكون الأثر الأوّل للتقوى هو التبصّر والرؤية الواضحة، والأثر الثاني لها هو النجاة من المهالك والشدائد.

ولعلّ في قصّة يوسف عليه السلام ما يشير إلى معنى التقوى فإنّه قد اتقى الله، ولم يخضع للإغراء على عِظمه وشدّته فأوصله الله إلى أن يكون عزيز مصر، فتقواه بالأمس جعلته أقدر على مقارعة الصعاب وأبصر في الأمور، حتّى قال لحاكم مصر: ﴿**اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾[٢]. وهكذا بيّن لإخوته هذه القاعدة فقال: ﴿**إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[٣].

وهكذا نجد الإمام الحسين عليه السلام يؤمن بهذه القاعدة، حيث يلتفت إلى أهل بيته يودّعهم ويقول: ((**استعدّوا للبلاء، واعلموا أنّ الله حافظكم وحاميكم، وسيُنجيكم من شرّ الأعداء، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير، ويعذّب أعاديكم بأنواع البلاء، ويعوّضكم الله عن هذه البليّة**

(١) الأعراف ١٠٢.
(٢) يوسف ٥٥.
(٣) يوسف ٩٠.

بأنواع النعم والكرامة، فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم)).

وهذا ما كرّرته الحوراء زينب عليها السلام بجمل جديدة، وهي تؤكّد تلك القاعدة، فوقفت تخاطب يزيد بن معاوية قائلة: ((**فكدْ كيدَك، واسعَ سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا**)).

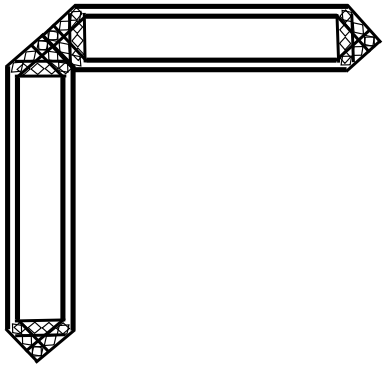

الحلقة الثانية

أهل البيت عليهم السلام والتقوى

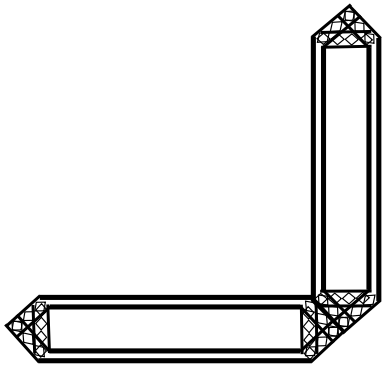

التقوى كنز عظيم

سنتحدث اليوم عن أهل البيت عليهم السلام والتقوى، فمِن فِكر أهل البيت عليهم السلام طاعة الله وتقواه.

إن الإنسان عنصر أصيل من عناصر هذا الكون، ونمط مثالي رفيع بين أنماطه الكثر، بل هو أجلّها قدراً وأرفعها شأناً، وذلك بما حباه الله عزّ وجل، وشرّفه بصنوف الخصائص والهبات التي ميزته على سائر الخلق ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾(١).

وكان من أبرز مظاهر العناية الإلهية بالإنسان، ودلائل تكريمه له: أن استخلفه في الأرض، واصطفى من عيون نوعه وخاصتهم رسلاً وأنبياء، بعثهم إلى العباد بالشرائع والمبادئ الموجبة لتنظيم حياتهم، وإسعادهم في عاجل الدنيا وآجل الآخرة.

ولكن أغلب البشر تغريهم الأهواء والشهوات، وتطغى عليهم نوازع التنكّر والتمرّد على النظم الإلهية وتشريعها الهادف البنّاء، فيتيهون في مجاهل العصيان، ويتهافتون على طرق الغواية والضلال، ومن ثم يعانون ضروب الحيرة والقلق والشقاء، ولو أنهم استجابوا لطاعة الله

(١) الإسراء ٧٠.

سبحانه وتعالى وساروا على هدي نظمه ودساتيره، لسعدوا وفازوا فوزاً عظيماً، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[١].

أرأيت كيف انتظم الكون، واتّسقت عناصره، واستتب نظامه ملايين الأجيال والأحقاب بخضوعه لله عزّ وجل، وسيره على مقتضيات دساتيره وقوانينه؟!

أرأيت كيف ازدهرت حياة الأحياء، واستقامت بجريها على وفق مشيئة الله تعالى، وحكمة نظامه وتدبيره؟!

أرأيت كيف يطبّق الناس وصايا وتعاليم مخترعي الأجهزة الميكانيكية؛ ليضمنوا صيانتها واستغلالها على أفضل وجه؟

أرأيت أيضاً كيف يخضع الناس لنصائح الأطباء، ويعانون مشقة العلاج ومرارة الحمية، توخّياً للبرء والشفاء؟!

فلِمَ لا يطيع الإنسان خالقه العظيم ومدبره الحكيم الخبير بدخائله وأسراره ومنافعه ومضارّه؟!

إنه يستحيل على الإنسان أن ينال ما يصبوا إليه من سعادة وسلام، وطمأنينة ورخاء إلا بطاعة الله تعالى وانتهاج شريعته وقوانينه.

(١) الأعراف ٩٦.

انظرن كيف يشوّق الله عزّ وجل عباده إلى طاعته وتقواه، ويحذّرهم مغبة التمرد والعصيان، وهو الغني المطلق عنهم.

قال تعالى ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٢].

وأما التقوى، فقد علق الله خير الدنيا والآخرة، وأناط بها أعز الأماني والآمال ومنها:

-المحبة من الله تعالى، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[٣].

-والنجاة من الشدائد وتهيئة أسباب الارتزاق، فقال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[٤].

-وكذلك النصر والتأييد، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[٥]، وأيضاً صلاح الأعمال وقبولها، فقال تعالى:

(١) الأحزاب ٧١.
(٢) الفتح ١٧.
(٣) التوبة ٤.
(٤) الطلاق ٢.
(٥) النحل ١٢٨.

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا**﴾[١].

-والبشارة عند الموت، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٣٦) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ**﴾[٢].

فتجلى من هذا العرض أن التقوى هي الكنز العظيم، الحاوي لصنوف الأماني والآمال المادية والروحية والدينية والدنيوية، والطاعة هي الخضوع لله عزّ وجل، وامتثال أوامره ونواهيه.

أعلام التقى

وأهل البيت عليهم السلام هم أتقى المتّقين وسادة أهل التقوى واليقين، فلا تُعرف التقوى إلاّ منهم، ولا تؤخذ إلاّ عنهم وما أكثر وصيّتهم بها، وحثّهم عليها، وسَوقهم الناس إليها، فكانوا أعلام التّقى بحقٍّ وحقيقة باعتراف الأحبّاء والأعداء وهم العلامات التي جعلها الله تعالى للعالمين وهَدى بها المخلوقين -كما يستفاد من حديث داود الجصّاص-.

وقد تظافرت الأحاديث في أنّهم أعلام التقى ومناره، فعن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: ((**حدّثني العبد الصالح الكاظم موسى بن جعفر عن آبائه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين،**

(١) الأحزاب ٧٠.

(٢) يونس ٦٤.

قال: حدّثني أخي وحبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من سرّه أن يلقى الله عزّوجلّ وهو مقبل عليه غير معرِض عنه فليتوالك ياعلي، ومن سرّه أن يلقى الله عزّوجلّ وهو راض عنه فليتوال إبنك الحسن عليه السلام، ومن أحبّ أن يلقى الله ولا خوف عليه فليتوال إبنك الحسين عليه السلام)).

وأهل البيت كما أنهم اهل التقوى فهم الدعاة اليها، فقد تواترت أحاديث أهل البيت عليهم السلام ودعوتهم حاثة ومرغبةً على طاعة الله تعالى وتقواه، ومحذرة من عصيانه ومخالفته.

قال الإمام الحسن الزكي عليه السلام في موعظته الشهيرة لجنادة: ((**إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً، وإذا أردت عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان، فأخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعة الله عزّ وجل**)). وقال الإمام الصادق عليه السلام: ((**اصبروا على طاعة الله، وتصبّروا عن معصية الله، فإنما الدنيا ساعة، فما مضى فلست تجد له سروراً ولا حزناً، وما لم يأتِ فلست تعرفه، فاصبر على تلك الساعة التي أنت فيها، فكأنك قد اغتبطت**)).

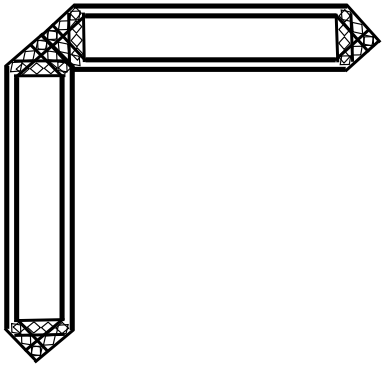

الحلقة الثالثة

أثر التقوى في مشاعر الإنسان

وإحساسه وعقله

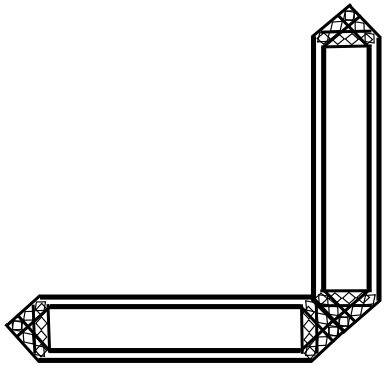

ما الذي يربط بين التقوى والبصيرة؟

التقوى -أيتها القارئة- تصون الإنسان وتحفظه من الإنزلاق في متاهات الشهوة والغريزة، وعلى الإنسان أن يسعى جاهداً للحفاظ عليها من الضعف والتلاشي، ولابدّ من التعرف على آثار التقوى، فإنّ لها آثاراً دنيويّة، فضلاً عن آثارها الأخرويّة المتمثِّلة في أنّها الطريق الوحيد للنجاة من الشقاء الأبديّ في الآخرة.

وأنّ تأثير التقوى في العقل والبصيرة أمر مسلّم به في الدين الإسلاميّ والثقافة الإسلامية، ولكن يبقى علينا أن نفسّر ذلك بالمنطق العلمي والفلسفي.

لنرى ما الذي يربط بين التقوى والبصيرة؟ وكيف يمكن أن يكون للتقوى -وهي فضيلة أخلاقيّة تتعلّق بسلوك الإنسان- أثر في جهاز عقل الإنسان وفكره وقدرته على الفصل والقضاء، وتهيئته لينال من الحكمة ما لا يناله بدون التقوى؟

إنّ الحكمة التي هي وليدة التقوى، وتلك البصيرة المميّزة التي يختصّ بها المتّقون إنّما هي الحكمة والبصيرة، فإنّ التقوى تجعل الإنسان أقدر على معرفة دائه ودوائه في سلوكه، وأبصر في إختيار سبيله في

الحياة، ولكنّها حتماً لا تجعله أقدر على فهم الدروس الرياضية والطبيعية وحل مشاكلها. أي إنّ للتقوى والطهارة وترويض النفس الأمّارة أثراً في البصيرة ومساعدة العقل، وليس بمعنى أنّ العقل هو المصباح وأنّ التقوى هي زينة، أو أنّ جهاز العقل يكون أشبه بمولّد كهربائي ذي طاقة معيّنة وتأتي التقوى لتزيد تلك الطاقة من حيث كميّتها، بل إنّ ذلك شيء آخر، فما هو ذلك الشيء؟

كيف تؤثّر التقوى في العقل؟

إنّ التفكير العمليّ للإنسان والذي يدلّه على الخير والشرّ، الحسن والسيّئ، الصحيح والغلط، وأمثالها من المعاني، يتأثّر بطغيان الهوى والأطماع ومشاعر الحقد والتعصّب وأمثالها، وذلك لأنّ ميدان عمل العقل العمليّ عند الإنسان هو ميدان المشاعر والأهواء والشهوات نفسه، وبما أنّ العداء مستحكم بين الأهواء والعقل -كما جاء في جملة من الأحاديث الشريفة نذكر منها- قال الإمام علي عليه السلام: ((**الهوى عدوّ العقل**))، فتتقابل أوامر الأهواء والأط
تطغى عليها، وذلك فيما لو خرجت هذه الأهواء عن حدّ الإعتدال، وهذا ما يؤدّي إلى ضعف تأثير العقل في الأحكام والمواقف الصادرة من الإنسان.

العقل صديق والنفس عدوّ وبما أنّه من المسلّم أنّ عقل الإنسان هو صديق له، إذ جاء عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: ((**صديق كلّ امرئ عقله**))، وإلى هذا أشار النبيّ صلى الله عليه وآله بقوله: ((**أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك**))، فالنفس أعدى أعداء الإنسان، لأنّها عدوّة العقل الذي هو خير صديق للإنسان، ومن هنا كان كل ما يكبح جماح النفس ويمنع من تأثير الأهواء والأطماع في إختيار الخطّ والنهج والمسار الذي ينبغي للإنسان أن يسير وفقه في هذه الحياة، ونحن نرى في واقع الحياة أنّ بعض الناس ناجحون فيما يتعلّق بالمسائل العلميّة، ولكنّهم فاشلون في إنتخاب طريقة حياة إنسانيّة متوافقة مع القيم الإنسانيّة الرفيعة. بينما نرى أناساً آخرين فاشلين فيما يتعلّق بالمسائل العلميّة، ولكنّهم في الوقت نفسه يعرفون كيف يختارون الطريقة المناسبة للحياة، هذا الأمر دفع بعضاً إلى القول بأنّ في الإنسان ذكاء وعقلاً، ولكنّ الحقيقة أنّه ليس في الإنسان إلّا العقل، ولكن في بعض الأحيان يطغى أعداء العقل، فيمنعوا تأثيره ويحولوا دون إصداره الأحكام الصحيحة.

وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة إلى تربية وتنمية التقوى لهذا الإحساس فقال: ((**قد أحيا عقله، وأمات نفسَه، حتّى دقّ جليله، ولطف غليظه، وبَرَقَ له لامعٌ كثير البرق فأبان له الطريق، وسلك به**

السبيل، فتدافعته الأبـواب إلى باب السلامة، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى صراطٍ مستقيم)).

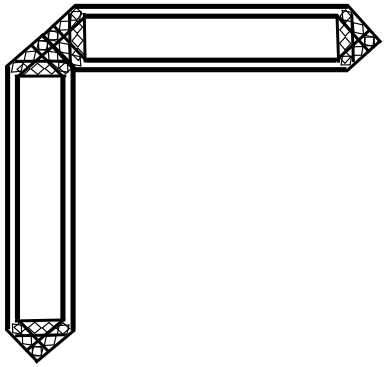

الحلقة الرابعة

آثار التقوى وقيمتها في إزالة الخوف والضيق

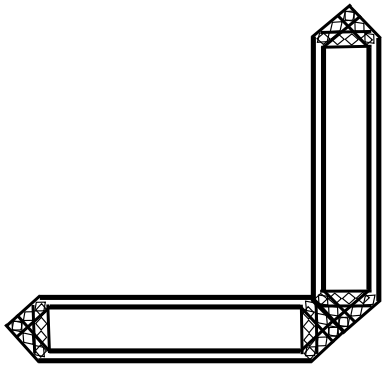

ما الرابط بين التقوى وسلامة الجسم؟

إن التقوى تصون الإنسان وتحفظه من الإنزلاق في متاهات الشهوة والغريزة، وعلى الإنسان أن يسعى جاهداً للحفاظ عليها من الضعف والتلاشي، ولابدّ من التعرف على آثار التقوى، فلها آثار دنيويّة وأخرويّة حيث أنّها الطريق الوحيد للنجاة من الشقاء الأبديّ في الآخرة.

إنّ افتقاد التقوى يعني افتقاد المستشفى الجيّد والطبيب الجيّد والدواء الجيّد، كما أنّ من يعيش روحيّة التقوى لا تشغله الأطماع، ولا يندفع وراء الملذّات ولو كانت مضرّة بسلامته وصحّته، وهذا ما يعني أنّ التقيّ سيحيا صحيح الجسم، سليم الروح، وفي سلامة إجتماعيّة مع نظرائه وأقرانه. ويبقى أيضاً للتقوى أثران مهمّان، وهما: تنوير القلب والبصيرة، حيث جاء في الآية الكريمة: ﴿**إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً**﴾[1]، وإزالة الخوف والضيق وجلب الرزق، يقول الله: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا*وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾.[2]

وأثر التقوى في تنوير العقل والبصيرة وهذا الأثر للتقوى من

(١) الأنفال ٢٩.

(٢) الطلاق (٢-٣).

المسلَّمات الإسلاميّة، فقد دلّت عليه، بالإضافة إلى الآيات القرآنيّة، جملة من الأخبار الواردة عن النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام. فمن الآيات القرآنيّة قوله عزّ وجلّ: ﴿**إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً**﴾[1] ومن الأخبار الواردة عن النبيّ والأئمّة عليهم السلام، ما جاء عن النبيّ صلى الله عليه وآله: **((جاهدوا أنفسكم على أهوائكم تحلّ قلوبَكم الحكمةُ))**.

وهذه الأخبار تشير بصراحة إلى أنّ التقوى والتطهّر من الآثام سبب رئيسي من أسباب التبصّر. وهناك بعض الأحاديث تشير إلى ذلك تلميحاً، إذ تشير إلى تأثير اتباع الهوى والإبتعاد عن التقوى في إظلام الروح واسوداد القلب وانطفاء نور العقل. ومن هذه الأحاديث قول أمير المؤمنين عليه السلام: **((مَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَى بَصَرَهُ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ))**.

والخلاصة أنّ تأثير التقوى في العقل والبصيرة أمر مسلّم به في الدين الإسلاميّ، ولكن يبقى علينا أن نفسّر ذلك بالمنطق العلميّ والفلسفيّ، لنرى ما الذي يربط بين التقوى والبصيرة؟ وكيف يمكن أن يكون للتقوى أثر في جهاز عقل الإنسان وفكره وقدرته على الفصل والقضاء، وتهيئته لينال من الحكمة ما لا يناله بدون التقوى، فالتقوى هي أساس كل عمل وفعل.

(١) الانفال ٢٩.

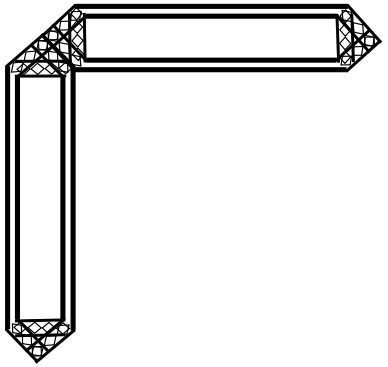

الحلقة الخامسة

العلاقة بين التقوى والحرية

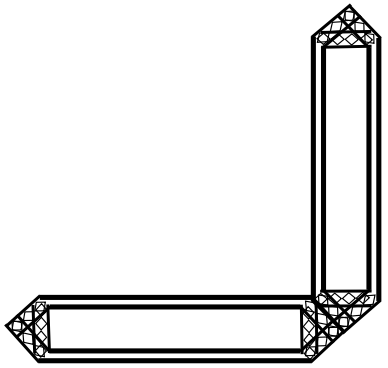

للتقوى فوائد

إن تقوى الله تعالى عامل مهمٌّ لتزكية النفس وتهذيبها، ويترتب عليها آثار مهمّة في الدنيا والآخرة، يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[1]، وقبل أن نشرع في الحديث عن التقوى، لابدّ أن نوضح مفهوم التقوى ومعناها، من جانب آخر يمكن تعريف التقوى بأنها: «قوّة داخليّة وقدرة نفسية تمتلك من خلالها النفس القدرة على إطاعة الأوامر الإلهيّة، وعلى مقاومة ميولها وأهوائها». ومنشؤها: الخوف من الله، وأثرها: تجنّب معصيته وسخطه، وهي تساعد الإنسان على تجنُّب حبائل الشيطان وإغراء الدنيا، يقول الإمام علي عليه السلام: ((**اعلموا عباد الله أن التقوى دار حصن عزيز، والفجورُ دارُ حصنٍ ذليل، لا يمنع أهله، ولا يُحْرِزُ من لجأ إليه، ألا وبالتقوى تقطع حُمَةُ الخطايا**))، ويستفاد من القرآن الكريم أن لتقوى الله عزّ وجل قيمة أخلاقية أصيلة، وأنها الهدف لتشريع الأحكام، فالهدف من عبادة الله تعالى الوصول إلى التقوى، كما أن العبادة يمكن أن تكون تعبيراً عن هذه التقوى، وفي آية أخرى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَكُمْ تَتقُونَ**﴾[2]، حيث بيّنت

(١) الحجرات ٣.

(٢) البقرة ١٧٩.

أن الهدف من القصاص هو التقوى. ويستفاد من عدّة آيات وروايات أن تقوى الله تمنح الإنسان بصيرة تمكّنه من معرفة الحقّ لاتباعه، وإن التقوى تداوي القلب وتهبه البصيرة، فيستطيع عندها أن يشخّص سبيل سعادته، وأن يتجنّب سُبل المهالك.

نتائج التقوى

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: ((**فإن تقوى الله دواء داء قلوبكم، وبصر عمى أفئدتكم**)) وإن أهواء النفس يمكن أن تشوّش على العقل رؤيته، ومن هنا يأتي دور التقوى في علاج ذلك الخلل، فالتقوى هي من يكبح جماح الشهوات فيستعيد العقل قدرته على الرؤية. وإن الإسلام لا يرى في التقوى تقييداً للحريّة، بل على العكس من ذلك، يرى أنها هي التي تمنح الإنسان حريته من شهواته وغرائزه، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: ((**فإن تقوى الله مفتاح سداد، وذخيرة معاد، وعتق من كلّ ملكة، ونجاة من كلّ هلكة**))، ويجب أن لا ننسى أن للتقوى نتائج أخرويّة جليلة جداً منها: الأجر العظيم، قال تعالى: ﴿**لِلذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾[1]، ومن نتائج التقوى: إن من يتقي الله لا يتسّرب الحزن إلى قلبه في الآخرة ولا يخاف عليه، ومنها: أن التقوى جزاؤها الجنّة وهي

(١) آل عمران ١٧٢.

دليل الفوز، يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ**﴾[١]. وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: ((**شرف كلّ عمل بالتقوى، وفاز من فاز من المتّقين**))، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا**﴾[٢]، واعلمن أيضاً إن لتقوى الله تعالى نتائج عديدة في الدنيا، من المفيد أن نشير إلى بعضها:

ومنها: أنها تحفّز الإنسان على الأخلاق الحسنة، ولا شكّ أن الأخلاق لها أثرها في الدنيا كما في الآخرة، عن الإمام علي عليه السلام: ((**التقوى رئيس الأخلاق**)). ومنها: أن التقوى تبعث الرزق، وتمكّن الإنسان من تجاوز العقبات والأزمات، والتغلب على مشاكل الحياة، وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام ما يوضّح ذلك: ((**فمن أخذ بالتقوى عَزَبَتْ عنه الشدائدُ بعد دنوِّها، وَاحلَوْلَت له الأمور بعد مرارتها، وانفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها، وأَسْهَلَتْ له الصعاب بعد إنْصَابِهَا**)). ومنها: صحة البدن، فقد ثبت وجود علاقة بين نفس الإنسان وبدنه، وأن كلاً منهما يؤثّر بنحو ما على الآخر، ولهذا فإن بعض الأمراض البدنيّة والنفسيّة قد تنشأ من الأخلاق السيّئة، كالحسد، والحقد، والغضب، والطمع، والتكبّر، وحبّ الذات، والغرور..فالتقوى واجتناب الأمور السيّئة لها تأثير مهم وأساسي في علاج الأمراض الجسدية والنفسيّة، وهي تساعد

(١) الطور ١٧.
(٢) نبأ ٣١.

على تأمين سلامة الإنسان من هذه الأمراض. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: ((**فإن تقوى الله شفاء مرض أجسادكم، وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس أنفسك**)).

إذن يجب أن لا نغفل جانب التقوى وعلاقته بالحرية والشفاء والأجر الدنيوي والاخروي، فالتقوى تجلب الحياة للإنسان وتجلب له السعادة والعزّة ورضا الله، وكل هذه الامور تجلب للفرد الحرية.

نعم فقد وعد الله عباده بأنهم إذا اتقوه سيجعل لهم من كل ضيق مخرجاً وسيُيسر أمورهم ويخرجهم من ذلة العبودية، عبودية الشهوات والأسواء.

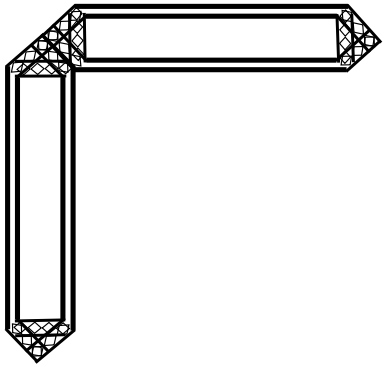

الحلقة السادسة

التقوى والرزق وعطايا الله

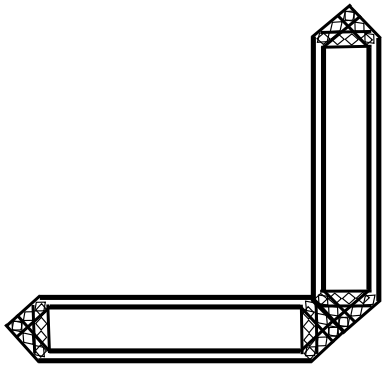

هو الرزّاق ويجعل له مخرج

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً*وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[1]. عزيزتي القارئة، إنّ أهل التقوى لهم مراتب، وأنّهم يختلفون في درجاتهم من حيث المعرفة والعمل الصالح، وهذا معناه أنّ ولاية الله لهم تلائم حالهم في إخلاص الإيمان والعمل، لأنّ الله تعالى يقول: ﴿وَاللهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، ويقول: ﴿وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾[3].

وعلى هذا الأساس فنصيب المخلصين من أولياء الله من هذه الآية شيء، ونصيب من هو دونهم من المؤمنين المتوسّطين شيء آخر. أمّا نصيب المخلصين فهو من اتقى الله بحقيقة معنى تقواه ﴿اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[4]، ولا يتمّ ذلك إلّا بمعرفته تعالى بأسمائه وصفاته، ثمّ تورّعه واتقائه بالإجتناب عن المحرّمات وتحرز ترك الواجبات خالصاً لوجهه الكريم ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[5]، ولازمه أن لا يريد إلّا ما يريده الله من فعل أو ترك، ولازمه أن يستهلك إرادته في إرادة الله، فلا يصدر عنه

(١) الطلاق ٢.
(٢) آل عمران ٦٨.
(٣) الجاثية ١٩.
(٤) آل عمران ٢.
(٥) الأعراف ٢٩.

فعل إلاّ عن إرادة من الله. ولازم ذلك أن يرى نفسه وما يترتّب عليها من سمة أو فعل، ملكاً طلقاً لله سبحانه، يتصرّف فيها ما يشاء، وهو ولاية الله، يتولّى أمر عبده، فلا يبقى له من الملك بحقيقة معناه شيء إلاّ ملكه الله سبحانه، وهو المالك لما ملّكه، والمُلك لله عزّ اسمه. وعند ذلك ينجيه الله من مضيق الوهم وسجن الشرك بالتعلّق بالأسباب الظاهرية.

أمّا الرزق المادّي، فإنّه كان يرى ذلك من عطايا سعيه، والأسباب الظاهرية التي كان يطمئن إليها، وما كان يعلم من الأسباب إلاّ قليلاً من كثير، كقبس من نار يضيء للإنسان في الليلة الظلماء موضع قدمه، وهو غافل عمّا وراءه، لكن الله سبحانه محيط بالأسباب، وهو الناظم لها، ينظّمها كيف يشاء، ويأذن في تأثير ما لا علم له به من خباياها.

وأمّا الرزق المعنوي الذي هو حقيقة الرزق الذي تعيش به النفس الإنسانية وتبقى، فهو ممّا لم يمكن تحسّبه، ولا يحتسب طريق وروده عليه. وبالجملة هو سبحانه يتولّى أمره، ويخرجه من مهبط الهلاك، ويرزقه من حيث لا يحتسب، ولا يفقد من كماله والنعم التي كان يرجو نيلها بسعيه شيئاً، لأنّه توكّل على الله، وفوّض إلى ربّه ما كان لنفسه، قال الله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[1] دون سائر الأسباب

(١) الطلاق ٣.

الظاهرية التي تخطئ تارة وتصيب أُخرى. ﴿إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾[١] لأنّ الأمور محدودة محاطة له تعالى ﴿وَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾[٢]، فهو غير خارج عن قدره الذي قدّره به. وأمّا نصيب من هو دونهم من المؤمنين فهو أنّ من يتّقِ الله ويتورّع عن محارمه، ولم يتعد حدوده، واحترم شريعته، وعمل بها قال تعالى: ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾[٣] أي مخرج من مضائق مشكلات الحياة. فإنّ شريعته فطرية، يهدي بها الله الإنسان إلى ما تستدعيه فطرته، وتضمن سعادته في الدنيا والآخرة، وَيَرْزُقُه من الزوج والمال، وكلّ ما يفتقر إليه من طيب عيشه، وزكاة حياته ﴿مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾[٤]، أي من حيث لا يتوقّع، فلا يخف المؤمن أنّه إذا اتقى الله، واحترم حدوده، حرّم طيب الحياة، وابتلي بضنك المعيشة، فإنّ الرزق مضمون، والله على ما ضمنه قادر.

فاعتزاله عن نفسه فيما تهواه وتأمر به، وإيثاره إرادة الله سبحانه على إرادة نفسه، والعمل الذي يريده الله على العمل الذي تهواه وتريده نفسه، وبعبارة أُخرى تدين بدين الله وتعمل بأحكامه فَهُوَ حَسْبُه -أي

(١) الطلاق ٣.
(٢) الطلاق ٣.
(٣) الطلاق ٣.
(٤) الطلاق ٣.

كافيه فيما يريده من طيب العيش ويتمنّاه من السعادة بفطرته لا بواهمته الكاذبة- وذلك أنّه تعالى هو السبب الأعلى الذي تنتهي إليه الأسباب، فإذا أراد شيئاً فعله وبلغ ما أراده من غير أن تتغيّر إرادته، قال الله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾[١] أو يحول بينه وبين ما أراده مانع، لأنّه القائل: ﴿واللهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِه﴾[٢].

وأمّا الأسباب الأخرى التي تشبّث بها الإنسان في رفع حوائجه، فإنّما تملك من السببية ما ملكها الله سبحانه، وهو المالك لما ملّكها، والقادر على ما عليه أقدرها، ولها من الفعل مقدار ما أذن الله فيه، فالله كافٍ لمن توكّل عليه لا غيره ﴿إِنَّ اللهُ بَالِغُ أَمْرِه﴾[٣] يبلغ حيث أراد، فما من شيء إلاّ له قدر مقدور وحدّ محدود، والله سبحانه لا يحدّه حدّ ولا يحيط به شيء وهو المحيط بكلّ شيء.

إذن عندما يدعو الإنسان ربّه أن يكون مدخله مدخل صدق ومخرجه مخرج صدق، ويريد اليسر والتيسير في حياته، فالطريق إلى ذلك يمرّ من خلال التقوى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ

(١) الطلاق ٣.
(٢) الرعد ٤١.
(٣) الطلاق ٣.

يُسْراً﴾[1].

إذن بالتقوى يمكننا أن نتخلص من مشكلات وعواقب الحياة بفضل من الله تعالى ورحمة منه؛ لأنه وعدنا، ووعده حق، ان من يتّقيه يفرج عنه ويرزقه من حيث لا يحتسب.

(١) الطلاق ٤.

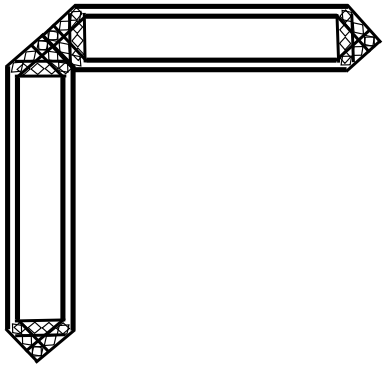

الحلقة السابعة

التقوى ودورها في تحصيننا من الوقوع في المهالك

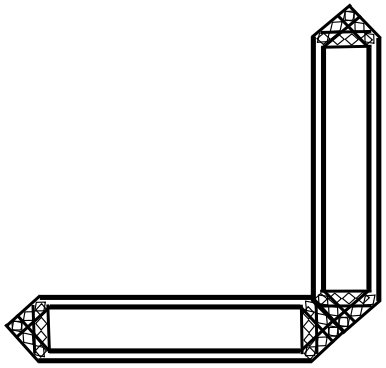

قال الله تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾[1].

لو طالعنا اللغة نجد مفردتين احداهما «الخَلْقُ» بفتح الخاء وهي متعلقة بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، والثانية «الخُلُق» بضمها الذي هو محل كلامنا وهو متعلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة.

والأخلاق ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخُلقُه، والتقوى هي السلّم التي يقي هذه القوى من الخروج عن حد الإعتدال، ولذا نجد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يجعلها محوراً في كثير من كلماته وعظاته التي وجدت في نهج البلاغة، فقال عليه السلام في بعض كلماته: ((**إعلموا عباد الله أن التقوى دار حصن عزيز والفجور دار حصن ذليل، لا يمنع اهله ولا يحرز من لجأ إليه، إلا بالتقوى تقطع قمّة الخطايا، وباليقين تدرك الغاية القصوى**)).

ولكن في البدء لابد من التعرّف على حقيقة التقوى؛ كي يتسنى لنا أن نستلهمها أكثر من دروس سيد المتقين عليه السلام، ولابد أن نعرف كيف نربّي نفوسنا عليها كي نرتقي إلى شرف الإنسانية.

(١) الشمس (٧-١٠).

قال الله تعالى: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾[1]، والتقوى من الوقاية وهي حفظ الشيء مما يؤذيه ويضرّه، والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف، ثم يسمى الخوف تارةً تقوى، والتقوى حسب تسمية.

إذن التقوى بعُرف أهل الشرع هو: حفظ النفس التي جعلها الله تعالى أمانةً عند الإنسان، وعدم إلقائها في التهلكة أثر التبعية الشيطانية التي تصبح عند النفس على أثر تغلّب الهوى على القوى. والتقوى هي الثمرة المطلوبة ترتباً على العبادات والفرائض، لذا يقول عز من قائل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**﴾[2]، وقال الإمام علي عليه السلام في احدى خطبه: ((**أوصيكم عباد الله بتقوى الله التي هي الزاد وبها المعاذ زاد مبلغ، ومعاذ منجح دعا إليها أسمع داعٍ ووعاها خيرُ واعٍ، فأسمع داعيها وفاز واعيها**)).

ولا يزال سيد الأوصياء عليه السلام يُروي نفوسنا ويزوّدها بزاد التقوى، ويعدّ لها السلاح الكفوء لمجابهة العدو، ويعطينا رقية العلاج من الوقوع في ذل الإستخفاف الشيطاني وذلك بوصية لنا بالتقوى. واعتبر عليه السلام التقوى هو الزاد الذي نعدّه في الدنيا لسفرنا الأخروي، والمعاذ والملجأ

(١) البقرة ٢.
(٢) البقرة ١٨٣.

الذي به نتقوى على مشقّة هذا السفر؛ لأن هذا الزاد هو الزاد الذي يُوصل القاصد إلى مقصده، ويبلغ به العاقل غايته، فكل عاقل أن يأخذ لسفره ما يليق به من طول المسافة وبُعد الطريق حتى يبلغ مقصده على أحسن ما يرام. والذي له لب لا يأخذ في سفره إلا ما يؤدي به إلى نجاحه؛ لأنه سيترك له متاعاً يجعله متحيّراً وسط الطريق لا يستطيع أن يرجع ولا يستطيع أن يكمل مسيره. إذن لابد أن يكون هذا المتاع متصفاً بصفات، فلابد أن يكون الزاد قابلاً للّجوء إليه وحاوياً على طاقة تؤمّن المسافر في طيلة السفر. ولابد أن يكون الزاد كافياً غير منقطعاً؛ لئلّا تبطل الغاية من السفر، وأن يكون مطمئناً من كفاية الزاد ومدى إنجاحه، ومتيقناً أنه هو الذي يوصله دون غيره، فهو كالدابة السليمة الصحيحة التي لا تخن به وسط الطريق، فيبقى متحيّراً لا يدري أين يؤول به المسير. وهذا الزاد الحاوي للصفات هي دعوة دعا إليها الله تعالى الذي هو أسمع السامعين وأجابها ولبّاها من له لب. وأبرز مصداق لمن دعى بدعوة الحق هو الرسول ﷺ، والواعي الذي وعاها هو الوجود المقدس لأمير المؤمنين عليه السلام الذي نزل فيه قوله تعالى ﴿**وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**﴾[1]، لذلك كان لا يأمر بشيء حتى يكون أول عاملٍ به. فكم هم الذين لهم آذان

(١) الحاقة ١٢.

لا يسمعون بها والذين لهم أبصار لا يبصرون بها، لأن العمى حسب تعبير القرآن الكريم ليس عمى العين فحسب ﴿**لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا**﴾[1]، بل تعمى القلوب التي في الصدور. فالفوز إذن لمن سمع واستجاب، يقول تعالى: ﴿**فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾[2].

والفوز والسعادة هذه هي المستقر الأخير لمن خشي الله تعالى في السر والعلانية وخاف الله كأنه يراه وفيه يقول تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[3].

(١) الأعراف ١٧٩.
(٢) البقرة ١٨٦.
(٣) الحجرات ١٣.

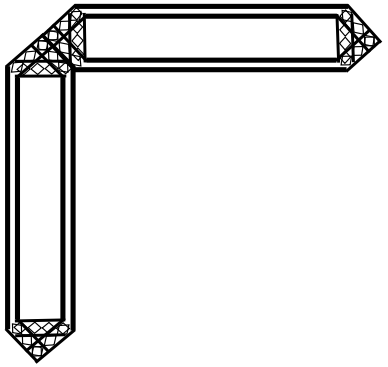

الحلقة الثامنة

بعض الآيات المباركة الدالة على التعاون والبر

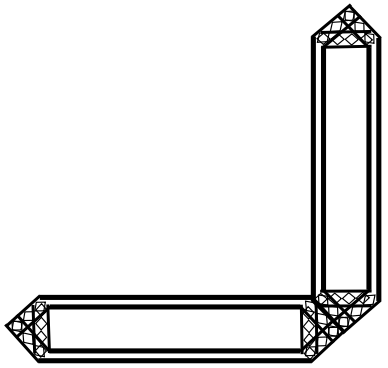

تواصوا وتعاونوا على البرّ والتقوى

نتحدث اليوم عن بعض الآيات المباركات الدالة على التعاون على البر والتقوى، حيث قال سبحانه وتعالى في سورة المائدة: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[1]، فجدير بكل مسلم وكل مسلمة في أنحاء الدنيا أن يحفظوا هذا العمل وأن يعنوا به كثيراً؛ لأن ذلك يترتب عليه بتوفيق الله صلاح المجتمع، وتعاونه على الخير، وابتعاده عن الشر، وإحساسه بالمسؤولية، ووقوفه عند الحد الذي ينبغي أن يقف عنده، وقد جاء في هذا المعنى نصوص كثيرة منها قوله عزّ وجل: ﴿**وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾[2].

فهذه السورة العظيمة القصيرة اشتملت على معانٍ عظيمة من جملتها التواصي بالحق -وهو التعاون على البر والتقوى- والرابحون السعداء في كل زمان وفي كل مكان، هم الذين حققوا هذه الصفات الأربع التي دلّت عليها هذه السورة، وهم الناجون من جميع أنواع

(١) المائدة ٢.

(٢) العصر.

الخسران. فينبغي لكل مسلم أن يحققها وأن يلزمها وأن يدعو إليها وهي الإيمان بالله ورسوله إيماناً صادقاً يتضمن الإخلاص لله في العبادة وتصديق أخباره سبحانه، ويتضمن الشهادة له بالوحدانية ولنبيهﷺ بالرسالة، وتصديق أخباره عليه الصلاة والسلام، كما يتضمن العمل الصالح، فإن الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية عند أهل السنة والجماعة؛ فالإيمان الصادق يتضمن: قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، وعمل القلب بمحبة الله، والإخلاص له وخوفه ورجاءه والشوق إليه، ومحبة الخير للمسلمين مثل دعائهم إليه، كما يتضمن العمل الصالح بالجوارح وهو قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعاصي -كما تقدم-. ثم يتضمن أمراً ثالثاً وهو التواصي بالحق وهو داخل في العمل الصالح وداخل في الإيمان، ولكن نبّه الله عليه فأفرده بالذكر بياناً لعظم شأنه، فإن التواصي له شأن عظيم وهو التعاون على البر والتقوى والتناصح في الله، وإرشاد العباد إلى ما ينفعهم ونهيهم عمّا يضرهم، وكذا يدخل في الإيمان أيضاً الأمر الرابع وهو التواصي بالصبر.

فاشتملت هذه السورة العظيمة على جميع أنواع الخير وأصوله وأسباب السعادة. فالتعاون على البر والتقوى معناه التعاون على تحقيق

الإيمان قولاً وعملاً وعقيدة، فالبر والتقوى عند اقترانهما يدلّان على أداء الفرائض وترك المحارم، فالبر هو أداء الفرائض واكتساب الخير والمسارعة إليه وتحقيقه، والتقوى ترك المحارم ونبذ الشر، وعند إفراد أحدهما عن الآخر يشمل الدين كله. فالبر عند الإطلاق هو الدين كله، والتقوى عند الإطلاق هي الدين كله.

والتعاون على البر والتقوى هو تعاون على تحقيق ما أمر الله به ورسولهﷺ قولاً وعملاً وعقيدة، وعلى ترك ما حرّم الله ورسولهﷺ قولاً وعملاً وعقيدة، وكل إنسان محتاج إلى هذا التعاون، أيما كان ذكراً كان أو أنثى، حيث تحصل له السعادة العاجلة والآجلة بهذا التعاون، والنجاة في الدنيا والآخرة والسلامة من جميع أنواع الهلاك والفساد، وعلى حسب صدق العبد في ذلك وإخلاصه يكون حظه من هذا الربح، وعلى حسب تساهله في ذلك يكون نصيبه من الخسران، فالكل بالكل والحصة بالحصة، فمن لم يقم بهذه الأمور الأربعة علماً وعملاً فاته الخير كله ونزل به الخسران كله، ومن فاته شيء من ذلك ناله من الخسران بقدر ما فاته من تحقيق هذه الأمور الأربعة. ولا ريب أن أهل العلم أولى الناس بتحقيق هذه الأمور وذلك بالتعاون على البر والتقوى عن إيمان وصدق وإخلاص وصبر ومصابرة؛ لأن العامة قد لا يستطيعون ذلك

لعدم فقههم وعلمهم، ولا يستطيعون إلا الشيء اليسير من ذلك على حسب علمهم، ولكن أهل العلم لهم القدرة على ذلك أكثر من غيرهم، وكلّما زاد العلم بالله وبرسولهﷺ وبدينه زاد الواجب وزادت المسؤولية وفي هذا المعنى يقول الله عزّ وجل ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾[1].

نعم فكون بعضهم أولياء بعض يقتضي التناصح والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والصبر عليه، والحذر من كل ما يخالف هذه الولاية ويضعفها. فالمؤمن ولي أخيه، والمؤمنة كذلك ولية أختها في الله وهذا واجب على الجميع، وعلى كل منهم أن يدل أخاه على الخير وينصح له ويحذّره من كل شر، وبذلك تتحقق الولاية منك لأخيك بالتعاون معه على البر والتقوى، والنصيحة له في كل شيء تعلم أنه من الخير، وتكره له كل شيء تعلم أنه من الشر، وتعينه على الخير وعلى ترك الشر، وتفرح بحصوله على الخير، ويحزنك أن يقع في الشر لأنه أخوك، ولهذا يقول الرسولﷺ: ((**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**)).

---

(١) التوبة ٧١.

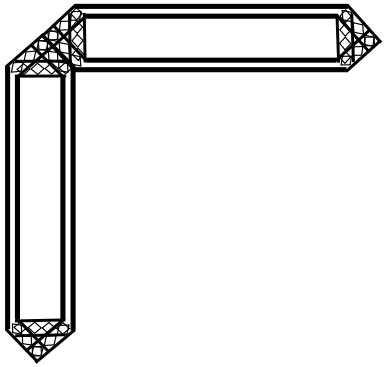

الحلقة التاسعة

ثمار المتّقين

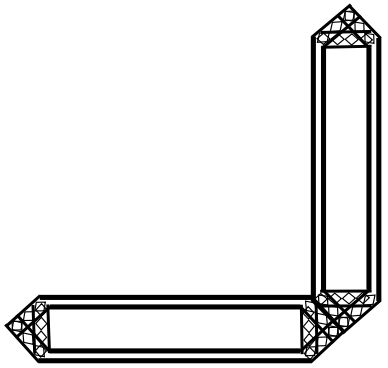

تقوى الله وحُسن الخُلق

لقد جمع النبيﷺ بين تقوى الله وحُسن الخُلق؛ لأن تقوى الله يُصلح مابين العبد وبين ربه، أما حُسن الخُلق يُصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجِب له محبة الله، وحُسن الخُلق يدعو الناس إلى محبته.

وإن بين العبد وبين الله والجنة قنطرة تقطع بخطوتين، خطوة عن نفسه وخطوة عن الخَلق، فيُسقط نفسه ويلغيها فيما بينه وبين الناس، ويسقط الناس ويلغيهم فيما بينه وبين الله، فلا يلتفت إلّا إلى من دلّه على الله وعلى الطريق الموصلة إليه.صاح بالائمة واعظُ﴿**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ**﴾[1]، فجزعت للخوف قلوبهم، فجرت من الحذر العيون (فسالت أوديةٌ بقدرها)، تزينت الدنيا لعليؓ. فقال: أنت طالقٌ ثلاثاً لا رجعة لي فيك، وكانت تكفيه واحدة للسنة، لكنه جمع الثلاث لئلا يتصور الهوى جواز المراجعة، ودينه الصحيح وطبعه السليم يأنفان من المحلل فإن ما في هذه الدار موضع خلوة فاتخذه في نفسك، لابد أن تجذبك الجواذب فاعرفها وكن منها على حذر، لا تضرّك الشواغل إذا خلوت منها وأنت فيها، نور الحق أضوأ من الشمس فيحق لخفافيش البصائر أن تعشو عنه، فالطريق إلى الله خالٍ من أهل الشك ومن الذين

(١) الأنبياء ١.

يتّبعون الشهوات، وهو معمور بأهل اليقين والصواب، وهم على الطريق كالأعلام ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾[1].

اجملوا في الطلب وجاهدوا وتوكلوا على الله

وقد جمع النبيﷺ في قوله: ((**فاتقوا الله وأجملوا في الطلب**)) بين مصالح الدنيا والآخرة ونعيمها ولذّاتها، إنّما ينال بتقوى الله وراحة القلب والبدن، وترك الإهتمام والحرص الشديد والتعب والعناد والكد والشقاء في طلب الدنيا إنما ينال بالإجمال في الطلب، فمَن اتقى الله فاز بلذّة الآخرة ونعيمها، ومن أجمَلَ في الطلب استراح من نكد الدنيا وهمومها فالله المستعان.

قد نادت الدنيا على نفسها
لوكان في ذا الخلق من يسمعُ
كم واثق بالعيش أهلكته
وجامع فرّقت مايجمعُ

وقد قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا**﴾[2]، فقد

(١) السجدة ٢٤.
(٢) العنكبوت ٦٩.

علّق سبحانه الهداية بالجهاد، فأكملُ الناس هدايةً أعظمهم جهاداً، وأفرض الجهاد جهاد النفس وجهاد الهوى وجهاد الشيطان وجهاد الدنيا، فمن جاهد هذه الأربعة في الله، هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته، ومن ترك الجهاد فاته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد. والذين جاهدوا أهواءهم فينا بالتوبة لتهدينهم سبل الإخلاص، ولايتمكن من جهاد عدوه في الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطناً، فمن نصر عليها نصَره على عدوّه، ومن نصرت عليه نصر عليه عدوه.

وهناك قاعدةٌ جليلةٌ: ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾[1] فمن اشتغل بالله عن نفسه، كفاه الله مؤونة نفسه، ومن اشتغل بالله عن الناس، كفاه الله مؤونة الناس، ومن اشتغل بنفسه عن الله، وكّله الله إلى نفسه، ومن اشتغل بالناس عن الله، وكّله الله إليهم.

ومن علامة صحة الإرادة أن يكون هَمْ المريد رضى ربه، واستعداده للقائه، وحزنه على وقت مر في غير مرضاته وأسفه على قربه والأنس به، وجماع ذلك أن يصبح ويمسي وليس له هم غيره.

وللعبد بين يدي الله موقفان: موقفٌ بين يديه في الصلاة، وموقفٌ بين يديه يوم لقائه. فمن قام بحق الموقف الأول، هوّن عليه الموقف

(١) الطلاق ٣.

الآخر، ومن استهان بهذا الموقف ولم يوفه حقه، شُدد عليه ذلك الموقف، قال تعالى: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ۞ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا**﴾[1].

فمِن لطائف دعاء أيوب، قوله تعالى: ﴿**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[2]، وقد جمع في هذا الدعاء بين حقيقة التوحيد، وإظهار الفقر والفاقة إلى ربه، ووجود طعم المحبة في التملّق له، والإقرار له بصفة الرحمة وأنه أرحم الراحمين، والتوسّل إليه بصفاته سبحانه، وشدة حاجته هو وفقره. ومتى وجد المبتلى هذا كُشفت بلواه. وقد جُرّب أنه من قالها سبع مرات، ولاسيّما مع هذه المعرفة كشف الله ضره.

(١) الإنسان ٢٦.

(٢) الأنبياء ٨٣.

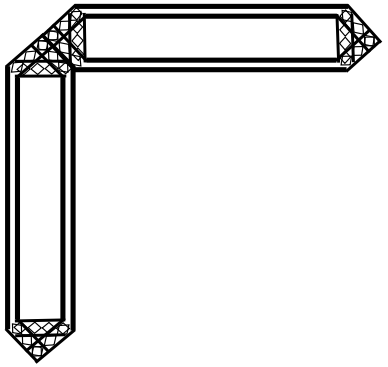

الحلقة العاشرة

مجاهدة النفس لنيل التقوى

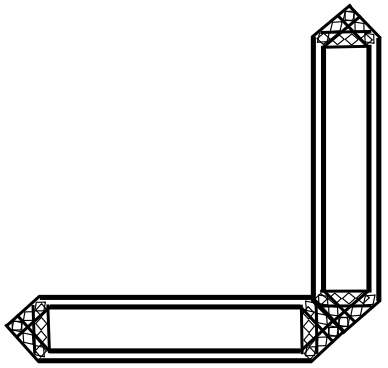

لنصل إلى طريق التقوى

نريد اليوم في هذه الحلقة بيان الأمور التي تُعين المسلمين للوصول للتقوى، ونريد أن نتعرف على الوسائل أو الطاعات التي تدفع المسلمين لعلو الهمة للوصول لحق التقوى.

فقد نتحمس لفعل الطاعات في بعض المواسم أو بعض الحالات كشهر رمضان، أو في بعض المناسبات عند أداء بعض العبادات كالحج والعمرة، ثم النفس قد تصاب بالفتور بعد مواسم الطاعات، والهمم قد تضعف، أو تقل بالتدريج، ثم تفقد الحماسة، ونريد أن نوضّح بعض الوسائل التي تساعد على الإستمرار في الطاعة والتنافس في الخير؛ للوصول لحق التقوى.

فالنفس تحتاج بصورة مستمرة إلى تكرار تذكر الأهداف، واستحضار الدوافع؛ لكي تتحمس للوصول لحق التقوى، ولكي يثبت العبد على الطاعات، أو تسير النفس باستمرار في طريق الإستقامة.

ومن الأمور المعينة للسير على طريق الإستقامة والثبات على الطاعة والنجاح في مجاهدة النفس، وتهيئتها للوصول للتقوى وشحذ الهمة للوصول للجنة هي: أن يجاهد المسلم نفسه ويذكّرها دائماً بأن أصله من

تراب أو من أبي البشر آدمﷺ وهو القادم من الجنة، وينبغي أن يشتاق إلى الجنة دائماً، فينبغي أن نحمس النفس دائماً بأن نجعلها تشتاق لجنة الرضوان، ذلك بالقراءة عن الجنة، أو سماع المحاضرات عنها، ونحاول أن نسير في طريق أهلها، بأن نتمسّك بالإستقامة، ونخاف مقام الله، ونبتعد عن إتبّاع الهوى، مع التخويف المستمر للنفس من لهيب النار، والتخويف من حال أهلها، وإبعاد النفس عن طريق الغواية والطغيان، وعدم نسيان الآخرة، وتفضيل الدنيا عليها حتى تبتعد عن طريق أهل النار، ويحاول المسلم أن يلزم نفسه بما يثبتها على طريق الطاعة، ويسير بها على درب الإستقامة.

ومن الأمور التي تساعد على ذلك أيضاً: أن يواظب المسلم على قراءة القرآن وتلاوته والإستماع إليه والتدبّر في آياته، والعمل به، والتحاكم إليه والإستشفاء به. وأيضاً يلزم نفسه بحضور محاضرات علمية ودعوية وتربوية، أو دروس لتفسير القرآن الكريم، أو يحضر دروس العلم التي تذكر بفعل الطاعات وهجر المعاصي، مع التزاحم على حضور مجالس العلماء، فهي تزيد الإيمان، وتساعد على الثبات.

وعلى المسلم أيضاً المحافظة على أداء صلاة الجماعة، والحرص على مصاحبة الأخيار، ومُجالسة الصالحين. وأيضاً يثبّت نفسه على طريق

الإستقامة بقراءة سِيَر الأنبياء السابقين، ودراسة سيرة الحبيب محمدﷺ والائمة عليهم السلام.

ومِن الأمور التي تساعد المسلم على لزوم التقوى هي الحرص على أعمال الخير التي تقرّب المسلم إلى الله تعالى مثل أداء الزكاة المفروضة، بل والتنافس في صدقات التطوّع، والإكثار من أعمال السر، والتقرب إلى الله تعالى بإطعام الطعام، والعطف على الفقراء، وإعانة المحتاج، ومواساة الحزين، والبر بالوالدين، وصلة الأرحام، والتخفيف عن المعسر، والصلاة بالليل والناس نيام، ويكثر المسلم من فعل الأعمال التطوعية، إضافة للفرائض كأداء النوافل والسنن، فالمسلم يتقرب إلى الله تعالى بما افترضه الله تعالى علينا من سنن ونوافل وفروض، ولا يبتدع أعمالاً لم يأتِ بها الشرع الحنيف، بل نتبع ولا نبتدع، ونسأل الله القبول.

وأيضاً علينا الوصول إلى التقوى بحفظ اللسان عن الكذب والغيبة والنميمة وبقية الآفات، مع حفظ الجوارح وكبح جماح الشهوة. ولكي يصل المسلم للتقوى، عليه أن يستعين بصيام النوافل، فهو يكسب العبد القدرة على مجاهدة النفس، وإلزامها طاعة الله والوصول للتقوى التي هي ثمرة الصيام، ولينتبه المسلم لحقيقة الصوم، فلابد من الإمتناع عن فعل المعاصي وليس فقط عن الطعام والشراب، وتقوية الإرادة،

وتدريب النفس للمجاهدة والنجاح في حفظ الجوارح، بل ومنع النفس عن الوقوع في المعاصي والمنكرات.

وكذلك ضرورة التذكير بالثواب العظيم المترتب على فعل الأعمال اليسيرة ويكون ثوابها عظيم، كصلاة الجماعة، والإكثار من ذكر الله تعالى، والمواظبة على الدعاء، والخضوع والإنكسار بين يدي الله تعالى، والدعاء بصدق وإخلاص بأن يوفقنا الله لبلوغ صفات المتّقين، والثبات على طريق الإستقامة، ومحاولة ملازمة العلماء ومجالسة الصالحين.

ومن لم يصل للتقوى بهذه الأمور فعليه أن يوقظ نفسه ويجلي قلبه بتذكر الموت، أو بزيارة القبور، والوقوف لحظات لتدبر مصيره، ويتأمل في نهاية كل حي، وزيارة المقابر، وعيادة المرضى، فهذه الأمور مهمة في ترقيق القلب وتجعله يصل للسلامة، ومن أراد الوصول للقلب السليم فعليه أن يذكّر نفسه أن الأجل قصير، والأعمار محدودة، والموت يأتي بغتة، والقبر صندوق العمل، فالذي ينفع المسلم في قبره هو العمل الصالح، قال الله تعالى: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾[1]. ونسأل الله تعالى التوفيق والسداد والوصول للتقوى.

---

(١) الزلزلة (٧-٨).

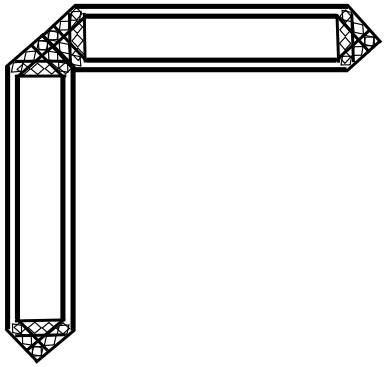

الحلقة الحادية عشرة

ضرورة تقوى الله في السر والعلن

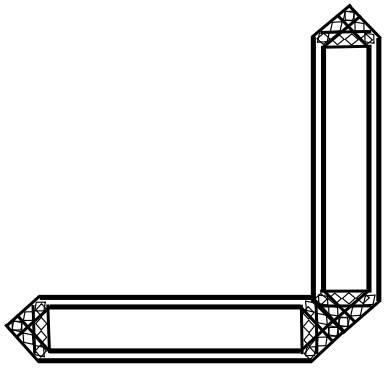

اتقِ الله في السر والعلن

يجدر بنا تقوى الله عزّ وجل في السر والعلانية، والإخلاص له في الأعمال والأقوال، والإقتداء برسولناﷺ في كل ما نتقرب به إلى ربنا عزّ وجل، فإن تقوى الله تبارك وتعالى هي السبب العظيم في تحصيل سعادة الدنيا والآخرة.

والإخلاص هو أصل قبول الأعمال، فلا يقبل الله من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم، فلم يشرك صاحبها فيها مع الله غيره، ولا يقصد بها رياء ولا سمعة ولا شهرة ولا حمد ولا ثناء من أحد، قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾[1]

فالواجب على كل مسلم ومسلمة أن يتقيا الله عزّ وجل، وأن يخلصا في أعمالهما وأن يتقيدا بكتاب الله وسنة رسولهﷺ في كل أعمالهما وأقوالهما.

فحافظوا على أوقاتكم واشغلوها بالعبادة والتقرّب إلى الله عزّ وجل والصلاة والسلام على رسول اللهﷺ، وأكثروا من قراءة القرآن الكريم، ومن الصلاة، والذكر، والدعاء، والاستغفار، والصدقة وغير ذلك من أنواع العبادات..

(١) البينة ٥.

وإن تقوى الله في الغيب، وخشيته في السر دليل كمال الإيمان، وسبب حصول الغفران ودخول الجنان، بها ينال العبد كريم الأجر وكبيره، وكان من دعاء النبيﷺ: ((**أسألك خشيتك في الغيب والشهادة**))، والمعنى أن العبد يخشى الله سرّاً وعلانية، ظاهراً وباطناً، فإن أكثر الناس قد يخشى الله في العلانية وفي الشهادة، ولكن الشأن خشية الله في الغيب إذا غاب عن أعين الناس، فقد مدح الله من خافه بالغيب.

ومن الأمور الموجبة لخشية الله عزّ وجل قوة الإيمان بوعده ووعيده على المعاصي، والنظر في شدة بطشه وانتقامه وسطوته وقهره، وذلك يوجب للعبد ترك التعرّض لمخالفته، وقوة المراقبة لله، والعلم بأنه شاهد رقيب على قلوب عباده وأعمالهم، وأنه مع عباده حيث كانوا، فإن من علم أن الله يراه حيث كان، وأنه مطّلع على باطنه وظاهره وسرّه وعلانيته، واستحضر ذلك في خلواته، أوجب له ذلك ترك المعاصي في السر. وأيضاً استحضار معاني صفات الله تعالى، ومن صفاته: السمع، والبصر، والعلم، فكيف تعصي من يسمعك، ويبصرك ويعلم حالك؟!

فإذا استحضر العبد معاني هذه الصفات قوِيَ عنده الحياء، فيستحي من ربه أن يسمع منه ما يكره، أو يراه على ما يكره، أو يخفي في سريرته

ما يمقته عليه، فتبقى أقواله وحركاته وخواطره موزونة بميزان الشرع، غير مهملة ولا مرسلة تحت حكم الطبيعة والهوى. فتقوى الله في السر، هي علامة كمال الإيمان، ولها تأثير عظيم في إلقاء الله لصاحبها الثناء في قلوب المؤمنين. فليتقِ أحدكم أن تلعنه قلوب المؤمنين وهو لا يشعر، يخلو بمعاصي الله، فيلقي الله له البغض في قلوب المؤمنين. وإن الرجل ليصيب الذنب في السر، فيصبح وعليه مذلته، وإن العبد ليذنب الذنب فيما بينه وبين الله ثم يجيء إلى إخوانه فيرون أثر ذلك الذنب عليه. وهذا أعظم الأدلة على وجود الإله الحق، المجازي بذرات الأعمال في الدنيا قبل الآخرة، ولا يضيع عنده عمل عامل، ولا ينفع من قدرته حجاب ولا إستتار. فالسعيد هو من أصلح ما بينه وبين الله، فإنه من أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الخلق، ومن التمس محامد الناس بسخط الله عاد حامده من الناس ذاماً له.

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل
خلوت ولكن قل عليّ رقيبُ
ولا تحسبنّ الله يغفل ساعةً
ولا أن ما نخفيه عنه يغيبُ

وقد يبتعد الإنسان عن المعاصي والذنوب إذا كان يحضره الناس،

وعلى مشهد منهم، لكنه إذا خلا بنفسه وغاب عن أعين الناس، أطلق لنفسه العنان، فاقترف السيئات، وارتكب المنكرات، ﴿**وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا**﴾[1]، بل إن الإنسان ليقع في ذنب لو كان بحضرته طفل لامتنع من الوقوع فيه، فصار حياؤه من هذا الطفل أشد من حيائه من الله جل وعلا! أتراه - في هذه الحالة - مستحضراً قول الله تعالى: ﴿**أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ**﴾[2]؟ نسأل الله عزّ وجل أن يرزقنا خشيته في الغيب والشهادة، وفي السر والعلانية.

(١) الإسراء ١٧.
(٢) البقرة ٧٧.

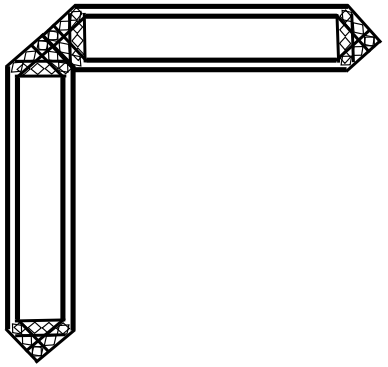

الحلقة الثانية عشرة

التقوى باعتبارها أساس كل الخير

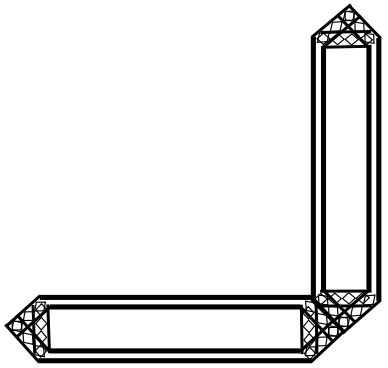

أسس بُنيانه

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1]، فما معنى «أَسَّسَ بُنْيَانَهُ»؟

إن زواجك من بنيانك، إنجاب أولادك من بنيانك، تربية أولادك من بنيانك، كسب مالك من بنيانك، إنفاق مالك من بنيانك، هويتك في المجتمع من بنيانك، عملك من بنيانك، نشاطك، حركتك، هذه الأشياء الأساسية كلها في حياتك، هذه من بنيانك. هناك إنسان بنى حياته على طاعة الله، بنى حياته على تقوى الله، بنى حياته على العمل الصالح، بنى حياته على تصورات صحيحة، استقاها من الكتاب والسنة، بنى حياته على سر وجوده وغاية وجوده، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]

فالإنسان يبني حياته، أو يبني بنيانه، أو يبني هويته، أو يبني نشاطه، أو يبني عمله الصالح، أو يبني حركاته وسكناته، وانطلاق المؤمن في كل نشاطاته من طاعة الله.

---

(١) التوبة ١٠٩.

(٢) الذاريات ٦٥.

والإنسان فيه حاجات ثلاثة أودعها الله فيه، أودع فيه حاجته إلى الطعام؛ حفاظاً على وجوده كفرد، إذاً هو كائن متحرك، ينبغي أن يتحرك ليعمل، يكسب مالاً يشتري به طعاماً ليأكل، طبعاً لولا الحاجة للطعام والشراب ما رأيت على وجه الأرض شيئاً، لا طرقات، ولا جامعات، ولا جسور، ولا مؤسسات، ولا معامل، ولا حدائق، كل شيء تراه بعينك أساسه الحاجة إلى الطعام والشراب، هذه الحاجة يجب أن يلبّيها. عنده حاجة ثانية، الحاجة إلى الزواج من أجل الحفاظ على النوع. عنده حاجة ثالثة هي تأكيد الذات، الحاجة للتفوّق، حاجة إلى بقائه كفرد، وحاجة إلى بقاء النوع، هذه الحاجات جعلته كائناً متحركاً، يجب أن يعمل من أجل أن يكسب المال، ليشتري به طعاماً، وشراباً، وكتاباً يقرأه.

إذاً الإنسان كائن متحرك، وليس سكونياً، هذه الطاولة كائن سكوني لو تركت على ما هي عليه ألف عام تبقى كما هي. أما الإنسان فكائن متحرك لأن الله أودع فيه الشهوات، الشهوات حوافز، ما أودع الله في الإنسان الشهوات إلا ليرقى بها إلى رب الأرض والسموات. إذاً الإنسان يتحرك ليبني نفسه، الزواج بناء، إنجاب الأولاد بناء، العناية بالأولاد بناء، تعليمهم بناء، الإرشاد إلى الحق والخلق بناء.

الآن حركته بالأرض، نشاطاته، أوقات فراغه، زواجه، إنجاب أولاده، هويته بالمجتمع، اختصاصه، المؤمن ينطلق في كل هذه النشاطات من طاعة الله، يتحرك وفق مرضاة الله، يسعى لنيل مرضاة الله، هدفه الجنة.

الفرق بين اللذة والسعادة

اللذة والسعادة: إن هذا الإنسان يتحرك وفق ما خلق له، هناك معنى دقيق جداً هو أن الإنسان خُلق لمعرفة الله، لذلك جعلت طاقته لا نهائية، لو أنه اختار هدفاً محدوداً -المال مثلاً- فإذا وصل إليه شعر بالملل والسأم، اختار الجاه وصل إليه شعر بالملل والسأم، وكأن الله سبحانه وتعالى لم يسمح للدنيا أن تمد الإنسان بسعادة مستمرة، بل بلذائذ متناقصة، هذا إذا كانت وفق شرع الله. أما إذا كانت وفق معصية الله فاللذائذ متناقصة مع كآبة، بشكل أو بآخر ما سمح الله للدنيا أن تمدّك بشكل مستمر بسعادة مستمرة، بل بلذائذ متناقصة، واللذة تنتهي بالكآبة، لذلك الفرق الكبير بين اللذة والسعادة، فرق بين المشرق والمغرب، اللذة أساسها متع حسية، وهذه المتع الحسية تحتاج إلى مال، وتحتاج إلى وقت، وتحتاج إلى صحة، ولحكمة بالغة دائماً الإنسان تنقصه واحدة، في البدايات الصحة طيبة والوقت وافر لكن لا يوجد مال، في

منتصف الحياة يوجد مال وصحة لكن لا يوجد وقت، منغمس بعمله حتى قمة رأسه، لمّا تقاعد وسلّم المعمل لأولاده صار عنده وقت ومال لكن لا يوجد عنده صحة، فدائماً هناك نقطة تنقص الإنسان.

أما إذا اتجه إلى الله فهو في سعادة مستمرة؛ لأن اللذة غير السعادة، اللذة تأتي من الخارج، تأتي من المادة، من متع حسية، واللذة متناقصة في تأثيرها، وتنتهي بالكآبة، أما السعادة فتنبع من الداخل، ومستمرة، ومتنامية.

الموت ينهي كل شيء، ونقول دائماً: إذا صح أن لكل إنسان خطاً بيانياً، المؤمن وحده خط بيانه صاعداً صعوداً مستمراً، وقد يكون موته نقطة على هذا الخط الصاعد، والصعود بعد الموت، صاعد صعوداً مستمراً، أما خط الآخر الغير مؤمن قد يكون صاعداً صعوداً حاداً، لكنه فجأة ينتهي بانهيار حاد، صعود حاد، وانهيار حاد، لأن الموت ينهي كل شيء، ينهي قوة القوي وضعف الضعيف، وغنى الغني وفقر الفقير، ووسامة الوسيم ودمامة الدميم، وذكاء الذكي، ينهي كل شيء. إذن إن التقوى هي الطاعة، التقوى معناها واسع جداً، لكن في أبسط معانيها الطاعة «طاعة الإنسان بمنهج ربه».

الفهرس

الحلقة الأولى

التقوى ٥

الحلقة الثانية

أهل البيت عليهم السلام والتقوى ١٥

الحلقة الثالثة

أثر التقوى في مشاعر الإنسان وإحساسه وعقله ٢٢

الحلقة الرابعة

آثار التقوى وقيمتها في إزالة الخوف والضيق ٢٧

الحلقة الخامسة

العلاقة بين التقوى والحرية ٣١

الحلقة السادسة

التقوى والرزق وعطايا الله ٣٧

الحلقة السابعة

التقوى ودورها في تحصيننا من الوقوع في المهالك ٤٣

الحلقة الثامنة

بعض الآيات المباركة الدالة على التعاون والبر ٤٩

الحلقة التاسعة
ثمار المتّقين ٥٥
الحلقة العاشرة
مجاهدة النفس لنيل التقوى ٦١
الحلقة الحادية عشرة
ضرورة تقوى الله في السر والعلن ٦٧
الحلقة الثانية عشرة
التقوى باعتبارها أساس كل الخير ٧٣